

منارة الإسكندرية: أعجوبة قاومت الزلازل وخلّدت اسمها في التاريخ



الأربعاء 26 أغسطس 2026 09:30 م

تحتفظ مدينة الإسكندرية، التي أسسها الإسكندر الأكبر قبل أكثر من 2300 عام، بإرث تاريخي استثنائي ارتبط لقرون طويلة بواحدة من أشهر عجائب الدنيا السبع في العالم القديم، وهي منارة الإسكندرية، أو «فاروس»، ذلك الصرح العملاق الذي ارتفع فوق جزيرة صغيرة قبالة المدينة، ليصبح دليلاً للسفن القادمة إلى أحد أهم موانئ البحر المتوسط.

لم تكن المنارة مجرد مبنى ضخّم شيده حكام مصر البطالمة لإظهار قوتهم وثروتهم، وإنما كانت منشأة ذات وظيفة حيوية؛ فقد أدت دوراً أساسياً في إرشاد البحارة خلال النهار والليل، وساعد ضوؤها الساطع على تحديد موقع الميناء وسط مياه كانت تخفي الكثير من المخاطر على السفن القادمة من البحر.

وبفضل موقعها وتصميمها وارتفاعها الاستثنائي، تحولت المنارة إلى رمز للبراعة الهندسية في العالم القديم، وظلت قائمة لقرون طويلة، قبل أن تتعرض تدريجياً لسلسلة من الزلازل التي ضربت سواحل مصر، لتنتهي قصتها في العصور الوسطى، بينما بقي اسمها حاضراً في ذاكرة الحضارات.

الإسكندرية: مدينة وُلدت لتكون مركزاً للتجارة

بدأت قصة الإسكندرية عام 331 قبل الميلاد، عندما قرر الإسكندر الأكبر تأسيس مدينة جديدة على ساحل البحر المتوسط خلال حملاته العسكرية في المنطقة.

كان الإسكندر يبحث عن موقع يتمتع بمزايا جغرافية تساعد على السيطرة على الطرق البحرية، وتمنح المدينة الجديدة القدرة على أن تصبح مركزاً للتجارة والاتصال بين مناطق العالم القديم.

واختار موقعاً مميّزاً بين البحر المتوسط وبحيرة مريوط، مع وجود اتصال بالنيل عبر أحد فروع الدلتا، وهو ما منح المدينة أهمية استراتيجية واقتصادية كبيرة.

ومع مرور الوقت، أصبحت الإسكندرية واحدة من أعظم مدن العالم القديم، وتحولت إلى مركز للثقافة والعلم والتجارة، وازدهمت موانئها بالسفن القادمة من مناطق مختلفة من البحر المتوسط وما وراءه.

لكن الموقع البحري المميز للمدينة كان يحمل في الوقت نفسه خطراً كبيراً على السفن.

مياه خطيرة وشعاب تهدد السفن

رغم أهمية ميناء الإسكندرية، لم تكن الملاحة في المنطقة المحيطة به سهلة بالنسبة للبحارة القدماء.

فالساحل القريب من دلتا النيل كان منخفضاً إلى حد كبير، وتفتقر المنطقة إلى الجبال أو المرتفعات الطبيعية التي يمكن أن يستعين بها البحارة لمعرفة موقع المدينة من مسافات بعيدة.

وفي زمن لم تكن فيه البوصلة الحديثة أو أجهزة تحديد المواقع والملاحة الإلكترونية موجودة، كان اعتماد البحارة على العلامات الطبيعية أمرًا أساسيًا

لكن المنطقة المحيطة بالإسكندرية كانت تحتوي كذلك على شعاب ومياه ضحلة يمكن أن تشكل خطرًا على السفن، خصوصًا في ظل تغير اتجاهات الرياح أو اضطراب البحر

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى علامة ضخمة يمكن رؤيتها من مسافات بعيدة، وتساعد السفن على معرفة الطريق المؤدي إلى الميناء

وكانت الإجابة هي بناء منارة ضخمة على جزيرة فاروس الواقعة قبالة الإسكندرية

فاروس الاسم الذي أصبح مرادفًا للمنارة

اختيرت جزيرة فاروس لتكون موقعًا للمنارة بسبب موقعها الاستراتيجي أمام الميناء

وكان البرج الذي شُيد عليها من أوائل المنشآت المعروفة في العالم القديم التي صممت خصيصًا لتوجيه السفن، حتى أصبح اسم الجزيرة نفسه مرتبطًا بفكرة المنارة

ومن اسم «فاروس» جاءت لاحقًا كلمة تعني «منارة» في عدد من اللغات، وهو ما يعكس مدى التأثير الذي تركته المنشأة في تاريخ الملاحة والعمارة

لم تكن الفكرة مجرد إقامة برج مرتفع، بل إنشاء معلم يمكن رؤيته من البحر، بحيث يكون نقطة مرجعية واضحة للبحارة الذين يبحثون عن مدخل الميناء

بطليموس الأول يبدأ المشروع

بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام 323 قبل الميلاد، انتقلت السيطرة على مصر إلى بطليموس الأول، الذي أسس السلالة البطلمية التي حكمت البلاد لقرون

وفي عهده بدأت أعمال بناء المنارة على جزيرة فاروس، قبل أن يكتمل المشروع في عهد ابنه بطليموس الثاني فيلادلفيوس

وجاء بناء المنارة في إطار مرحلة شهدت فيها الإسكندرية توسعًا كبيرًا وتحولًا إلى عاصمة سياسية واقتصادية وثقافية مهمة في العالم الهلنستي

وكانت المنارة واحدة من أبرز المشروعات العمرانية التي عكست ثراء الدولة البطلمية وطموح حكامها إلى جعل الإسكندرية مدينة لا تضاهيها المدن الأخرى

سوستراتوس المهندس الذي أراد أن يخلد اسمه

ارتبط بناء المنارة باسم المهندس سوستراتوس من كنيديوس، الذي تذكر المصادر القديمة اسمه باعتباره صاحب المشروع أو المشرف عليه

وتشير روايات قديمة إلى قصة طريفة حول الطريقة التي حاول بها المهندس تخليد اسمه على المبنى

وبحسب رواية منسوبة إلى لوسيان، وضع سوستراتوس اسمه على جزء داخلي من البناء، ثم غطاه بطبقة من الجص، وكتب فوقها اسم الحاكم ومع مرور الزمن وتآكل الطبقة الخارجية، ظهر اسمه مرة أخرى

وسواء كانت القصة دقيقة تاريخيًا أم لا، فإنها تعكس المكانة الاستثنائية التي اكتسبتها المنارة منذ إنشائها، والاهتمام الذي أحاط باسم المهندس الذي ارتبط بهذا الإنجاز المعماري

برج عملاق يلفت الأنظار

كان حجم منارة الإسكندرية استثنائيًا بمقاييس عصرها، وتشير الروايات القديمة إلى أن ارتفاعها تجاوز 350 قدمًا، أي أكثر من 100 متر تقريبًا

وكانت المنارة مكونة من مستويات متدرجة، ارتفعت فوق بعضها بعضًا حتى وصلت إلى الجزء العلوي الذي أُشعلت فيه النيران

وُسِّدَت باستخدام كتل ضخمة من الأحجار، من بينها الحجر الجيري الأبيض، ما جعل البرج يبدو لامعًا تحت أشعة الشمس، ويسهل رؤيته من البحر

وتشير بعض التصورات الفنية الحديثة إلى أن المنارة ربما كانت مزينة بتماثيل وعناصر معمارية مرتبطة بالثقافة البطلمية، وهو ما جعلها تجمع بين الوظيفة العملية والفخامة المعمارية

نار لا تنطفئ فوق البحر

كان العنصر الأهم في المنارة هو النار التي كانت تشتعل في قممتها

ففي الليل، كان اللهب يوفر نقطة ضوء واضحة للسفن، بينما كان الدخان خلال ساعات النهار يساعد في تحديد موقع المنارة وتشير روايات قديمة إلى أن ضوء المنارة كان يمكن رؤيته من مسافات بعيدة جدًا، ما منح البحارة علامة واضحة على اقترابهم من الإسكندرية

وبالنسبة للسفن التي قطعت مسافات طويلة في البحر، كان ظهور المنارة يعني اقترابها من أحد أهم الموانئ في العالم القديم

ولهذا لم يكن البرج مجرد مبنى مثير للإعجاب، بل كان جزءًا من منظومة الملاحة التي ساعدت على ازدهار التجارة في الإسكندرية

كيف كانت تُشعل النار؟

لا تزال الطريقة الدقيقة التي كانت تستخدم لإبقاء نار المنارة مشتعلة موضع نقاش بين الباحثين

وتشير بعض التفسيرات إلى استخدام الزيت أو مواد نباتية قابلة للاحتراق، خصوصًا في ظل ندرة الأخشاب في مصر مقارنة بمناطق أخرى كما ظهرت فرضيات تتحدث عن وجود سطح معدني مصقول أو عنصر عاكس بالقرب من النار، ربما ساعد في زيادة وضوح الضوء وتوجيهه لكن كثيرًا من التفاصيل المتعلقة بنظام الإضاءة الأصلي للمنارة لم تصل إلينا بصورة مؤكدة، بسبب فقدان المبنى نفسه وعدم وجود وصف هندسي كامل من عصر إنشائه

أسطورة المرآة التي تحرق السفن

مع مرور القرون، ظهرت حول المنارة قصص وأساطير عديدة، كان أشهرها الحديث عن مرآة ضخمة قيل إنها كانت تعكس أشعة الشمس وتوجهها نحو السفن المعادية

وبحسب بعض الروايات المتأخرة، كان بإمكان المرآة تركيز حرارة الشمس بطريقة تؤدي إلى إشعال السفن التي تقترب من الميناء

لكن هذه القصة بقيت في نطاق الأساطير ولم تثبت الأدلة التاريخية والأثرية وجود جهاز بهذه القدرات

ومع ذلك، فإن انتشار الحكاية يكشف حجم الانبهار الذي أثارته المنارة في خيال المؤرخين والكتاب خلال العصور اللاحقة

هل كانت المنارة تصدر أصواتًا للتحذير؟

ظهرت أيضًا روايات تتحدث عن إمكانية وجود وسيلة لإطلاق أصوات تحذيرية من أعلى المنارة خلال الظروف الجوية السيئة

وكانت مثل هذه الفكرة ستكون مفيدة للبحارة عندما تحجب السحب أو الضباب الرؤية وتصبح النار أو المبنى أقل وضوحًا

وتحدثت بعض المصادر العربية المتأخرة عن أصوات غريبة أو مخيفة كانت تصدر من المبنى، بينما حاول بعض الباحثين تفسير هذه الروايات بافتراض وجود آلية صوتية أو أدوات مرتبطة بتصميم المنارة

لكن الآلية الدقيقة، إن كانت موجودة بالفعل، لم يتم تحديدها بشكل قاطع

واحدة من عجائب الدنيا السبع

سرعان ما تجاوزت شهرة المنارة حدود الإسكندرية ومصر، وأصبحت واحدة من عجائب الدنيا السبع في العالم القديم.

وكان إدراجها ضمن هذه القائمة دليلاً على حجم الإعجاب الذي أثاره المبنى لدى العالم القديم، خاصة أن عجائب الدنيا السبع كانت تمثل أبرز الإنجازات المعمارية والفنية التي عرفتتها الحضارات القديمة.

وكانت المنارة مختلفة عن كثير من العجائب الأخرى؛ فهي لم تكن مجرد معلم احتفالي أو ديني، وإنما منشأة تؤدي وظيفة يومية مرتبطة بالملاحة والتجارة.

وهنا تميزت المنارة بأنها جمعت بين الجمال والفائدة العملية، وهو ما جعلها نموذجًا مبكرًا لفكرة المنشأة الهندسية التي تؤدي دورًا اقتصاديًا إلى جانب قيمتها الرمزية.

الإسكندرية ومركز التجارة في البحر المتوسط

ساعد موقع المنارة في تعزيز مكانة الإسكندرية كميناء رئيسي في البحر المتوسط.

فالسفن القادمة من مناطق مختلفة كانت تحتاج إلى علامة واضحة تحدد موقع المدينة ومينائها، خصوصًا في ظل صعوبة رؤية المدينة من البحر بسبب طبيعة الساحل المنخفضة. وبمرور الزمن، أصبحت الإسكندرية مركزًا تجاريًا ضخمًا، وتدفقت إليها البضائع والسلع من مصر والبحر المتوسط والشرق الأدنى.

وكان الميناء جزءًا أساسيًا من القوة الاقتصادية للمدينة، بينما أصبحت المنارة رمزًا لهذه القوة، يظهر للبحارة من البحر ويعلن اقترابهم من مدينة كانت في ذلك الوقت من أهم مراكز العالم.

المنارة تقاوم قروناً من التاريخ

لم تكن شهرة المنارة تعني أنها كانت محصنة ضد عوامل الزمن.

فعلى مدى قرون طويلة، تعرضت المنطقة لعدد من الزلازل القوية التي أثرت في المبنى، وتسببت تدريجيًا في تضرر أجزائه وسقوط بعضها.

ورغم ذلك، صمدت المنارة لفترة استثنائية مقارنة بكثير من المباني القديمة.

حتى بعد انتقال مصر إلى الحكم الروماني ثم دخولها في مراحل تاريخية مختلفة، ظلت المنارة قائمة، واستمرت في جذب اهتمام الرحالة والمؤرخين.

كليوباترا ومحاولات ترميم المنارة

ارتبطت المنارة كذلك بتاريخ الملكة كليوباترا السابعة، آخر حكام الدولة البطلمية، التي عاشت في القرن الأول قبل الميلاد.

وتشير الروايات إلى أن البرج احتاج إلى أعمال ترميم خلال هذه الفترة نتيجة عوامل الزمن والأضرار التي لحقت به.

وكان الحفاظ على المنارة أمرًا مهمًا، ليس فقط لقيمتها الرمزية، وإنما بسبب وظيفتها الأساسية في مساعدة السفن على الوصول إلى الميناء.

المنارة في العصر الإسلامي

بعد الفتح العربي لمصر، كانت المنارة لا تزال قائمة، واستمر وجودها شاهدًا على عظمة الإسكندرية القديمة.

ووصفها عدد من الرحالة والمؤرخين في العصور الإسلامية، وأصبحت جزءًا من الصورة التاريخية للمدينة.

لكن الزلازل استمرت في التأثير عليها، ومع مرور الوقت بدأت أجزاء كبيرة من البرج في الانهيار.

وكانت كل كارثة طبيعية تقطع جزءًا من المبنى الذي ظل شامخًا لقرون طويلة.

ابن بطوطة يشاهد آثار العظمة

كان الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة من أبرز من تحدثوا عن المنارة في مراحلها الأخيرة

وخلال رحلاته، شاهد المبنى وقد تدهورت حالته بشكل كبير، ولم تعد المنارة تحتفظ بكامل شكلها القديم

وكان وصفه دليلاً على أن الصرح الذي كان يومًا رمزًا لقوة الإسكندرية البحرية أصبح في ذلك الوقت مهددًا بالانهيار الكامل

النهاية على يد الزمن والزلازل

بلغت المنارة مراحلها الأخيرة خلال القرن الرابع عشر الميلادي، بعدما تعرضت الإسكندرية لسلسلة من الزلازل المدمرة

وبطول عام 1477، كانت أجزاء كبيرة من المنارة قد تحولت إلى أنقاض

وفي ذلك الوقت، لم يعد الصرح يؤدي دوره القديم، ولم تعد هناك إمكانية واقعية لإعادة بنائه بالشكل الذي كان عليه في العصر البطلمي

لكن حجارة المنارة لم تختفٍ بالكامل

حجارة المنارة تدخل في بناء قلعة قايتباي

في عام 1477، أمر السلطان المملوكي الأشرف قايتباي ببناء قلعة على موقع المنارة تقريبًا، واستُخدمت بعض الأحجار وبقايا المنشأة القديمة في بناء القلعة

وهكذا انتقلت أجزاء من أحد أشهر مباني العالم القديم إلى مبنى دفاعي جديد ظل قائمًا حتى يومنا هذا

وتعد قلعة قايتباي اليوم من أبرز معالم الإسكندرية، ويُنظر إليها كذلك باعتبارها شاهدًا على المرحلة الأخيرة من تاريخ منارة الإسكندرية

فالمكان الذي شهد يومًا ارتفاع المنارة فوق البحر أصبح موطئًا لقلعة تحمل هي الأخرى قيمة تاريخية كبيرة

منارة اختفت وبقي أثرها

لم يبق من المنارة نفسها برج قائم يمكن للزائر أن يراه اليوم، لكن ذكرها لا تزال حاضرة في الإسكندرية وفي كتب التاريخ والآثار

كما أن اسم «فاروس» تحول إلى مصطلح ارتبط بالمنارات، في دليل على التأثير الكبير الذي تركته المنشأة في تاريخ الملاحة

ورغم أن تفاصيل كثيرة عن تصميمها الداخلي وآلية تشغيلها لا تزال غير محسومة، فإن الروايات القديمة والآثار البحرية والدراسات التاريخية ساعدت في رسم صورة تقريبية لهذا الصرح المفقود

اكتشافات أثرية تحت مياه الإسكندرية

ساهمت الأبحاث الأثرية الحديثة في الكشف عن أجزاء من العالم القديم الذي غمرته مياه البحر قبالة الإسكندرية

فقد عثر علماء الآثار البحرية على كتل حجرية ضخمة وعناصر معمارية وتماثيل وأجزاء من منشآت قديمة في المنطقة البحرية القريبة من موقع المنارة

وأثارت هذه الاكتشافات اهتمامًا عالميًا، لأنها قدمت أدلة مادية تساعد الباحثين على فهم طبيعة العمارة والمنشآت التي كانت موجودة في المنطقة

كما أعادت الآثار الغارقة طرح أسئلة عديدة حول الشكل الأصلي للمنارة وحجمها والعناصر التي كانت تزينها

لماذا ظلت منارة الإسكندرية مهمة؟

تتجاوز أهمية منارة الإسكندرية فكرة كونها واحدة من عجائب الدنيا السبع

فهي تمثل مرحلة مهمة في تطور الهندسة والملاحة، وتكشف كيف استطاعت الحضارات القديمة توظيف العمارة لخدمة الاقتصاد والتجارة وحماية حركة السفن

كما أنها تجسد العلاقة بين المدينة والبحر؛ فالإسكندرية لم تكن مدينة ساحلية فحسب، وإنما مدينة قامت قوتها إلى حد كبير على موقعها البحري

وكانت المنارة بمثابة بوابة بصرية للمدينة، يراها القادم من البحر قبل أن يرى تفاصيل الميناء والمدينة نفسها

أعجوبة جمعت بين الجمال والوظيفة

كانت معظم عجائب الدنيا السبع مرتبطة بفكرة ضخامة البناء أو قيمته الدينية أو الرمزية، لكن منارة الإسكندرية قدمت نموذجًا مختلفًا

فهي كانت مبنى ضخماً وجميلاً، وفي الوقت نفسه كانت تؤدي وظيفة عملية يومية

كان البحار يرى النار في الليل، ويستدل على موقع الإسكندرية من خلال البرج، ويستخدمه كعلامة ملاحية في طريقه إلى الميناء

وهكذا تحولت المنارة إلى حل هندسي لمشكلة حقيقية فرضتها طبيعة الساحل والظروف الملاحية في المنطقة

من أعظم مباني العالم القديم

ورغم مرور أكثر من ألفي عام على بناء منارة الإسكندرية، لا تزال قصتها تحظى باهتمام الباحثين والمؤرخين والمهتمين بالحضارات القديمة

فقد كانت واحدة من أطول المنشآت التي عرفها العالم القديم، وظلت قائمة لقرون طويلة، ونجت من تغيرات سياسية وحروب وتحولات اقتصادية، قبل أن تسقط تدريجيًا تحت تأثير الزلازل وعوامل الزمن

ولم يكن سقوطها نهاية تأثيرها؛ إذ بقي اسمها مرتبطًا بفكرة المنارة، وظلت صورتها واحدة من أشهر الصور المتخيلة عن العمارة القديمة

قلعة قايتباي شاهد على موقع الأعجوبة

عندما يقف الزائر اليوم أمام قلعة قايتباي في الإسكندرية، فإنه يقف في موقع ارتبط بأحد أشهر المباني في تاريخ البشرية

ورغم أن المنارة لم تعد موجودة، فإن موقعها لا يزال يحمل آثارًا من تاريخها، كما أن القطع الأثرية التي عُثر عليها في مياه البحر تقدم لمحات عن عالم الإسكندرية القديمة

وهكذا تحولت المنطقة من موقع لمنارة تهدي السفن إلى ميناء المدينة، إلى موقع لقلعة تحمي المدينة من الأخطار، في استمرار للدور الاستراتيجي للمكان عبر قرون متعاقبة